فقه الكتاب والسنة

(١)

العبادات

احكامها وبيان آثارها في بناء المجتمع الإسلامي

القسم الأول : الصلاة والزكاة

الدكتور رفعت فوزي

كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

فقه الكتاب والسنة

(١)

العبادات

احكامها وبيان آثارها فى بناء المجتمع الإسلامى

القسم الأول : الصلاة والزكاة

الدكتور رفعت فوزى

كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

مطبعة السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــد ؛

فقد أحببت أن أكتب فى فقه الكتاب والسنة منهج قد يضيف جديداً على الكثير مما كتب فيه ، ويلبى حاجة المسلمين اليوم ، حاجتهم إلى التعرف المباشر على كتاب ربهم وسنة نبيهم .

وهو يرتكز على مبادئ أساسية :

أولها : أن يكون الانطلاق من الكتاب والسنة ، بحيث يحس القارئ أنه يعيش مع نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعلم أحكام دينه .

وتحقيقاً لذلك رجعت إلى ما كان عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مع صحابته ، رضوان الله عليهم ، حين كان يبلغهم قرآن ربهم عز وجل ، ويبينه بحكمته : (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة)[1]، فاعتمدت اعتماداً رئيساً عليهما ، وقدمتهما قائمين بذاتهما مستقلين ، وغير تابعين للآراء والأحكام ، كما هو غالب فى كتب

---

(١) الجمعة : ٢ .

الفقه الإسلامى ، اللهم إلا تقدمات وجيزة ؛ كبيان أو توضيح لها ، ووضع ليد القارئ على مواضع استنباط الحكم الفقهى . وبهذا يكون القارئ على عى شبه كامل أنه ينهل من الكتاب والسنة بكل ما أودع فيهما من هداية وحكمة . ونكون بهذا قد سلكنا منهجاً قريباً من منهج علمائنا المحدثين رضوان الله عليهم .

ثانيها : أنه لما كان من الصعوبة بمكان الاعتماد على النفس فى الاختيار والترجيح ، والتفسير ، والاستنباط ، والتخريج أمام النصوص الواردة فى الأحكام من الكتاب والسنة . فلقد اعتمدت على كتب أحكام القرآن والسنة فى هذا الأمر ، وخاصة كتب أحكام الحديث ، التى جمعها محدثون فقهاء ؛ كـ « بلوغ المرام » لابن حجر العسقلانى ، و « المنتقى من أحاديث الأحكام » لمجد الدين ابن تيمية ، و « المحرر فى الحديث فى بيان الأحكام الشرعية » لابن قدامة الحنبلى .

ثالثها : أننى حاولت قدر ما أستطيع ألا أقدم الكتاب والسنة ، وقد اعتركت الآراء حولها ، بعضها يأخذ ناحية ، وبعضها يأخذ أخرى ، فهذه رفاهية فقهية — إن صح هذا التعبير — تحتاج قبلها اليوم إلى القوت الضرورى منهما .

وجُل هذه الآراء المعتركة إنما هو حول مباح صدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلٌ قد أخذ بما وصل إليه منه ، فلا داعى إذاً إلى أن نشدد على أنفسنا ، وأن نختلف فيما ليس بموضع خلاف ، وأن نبعد أنفسنا عن الرحمة المودعة فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل أمراً مرة هكذا ، ومرة هكذا ، على سبيل التيسير أحياناً ، وعلى سبيل التجديد فى العبادة أحياناً .

يقول الإمام ابن عبد البر :

« والذى أقول به ، وبالله التوفيق ، أن الاختلاف فى التشهد ، وفى الأذان ، والإقامة ، وعدد التكبير على الجنائز ، وفى السلام من الصلاة واحدة ، أو اثنتين ، وفى وضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة ، وسدل اليدين ، وفى القنوت وتركه ، وما كان مثل هذا كله - اختلاف فى مباح ؛ كالوضوء واحدة ، واثنتين ، وثلاثا ، إلا أن فقهاء الحجاز والعراق الذين تدور عليهم وعلى أتباعهم الفتوى - يتشددون فى الزيادة على أربع تكبيرات على الجنائز ، ويأبون من ذلك .

وهذا لا وجه له ؛ لأن السلف كبَّر سبعا ، وثمانيا ، وستا ، وخمسا ، وأربعا ، وثلاثا .

وقال ابن مسعود : كَبِّر ما كبر إمامك . وبه قال أحمد بن حنبل ، وهم أيضاً يقولون : إن الثلاث فى الوضوء أفضل من الواحدة السابغة .

وكل ماوصفت لك قد نقلته الكافة من الخلف عن السلف ، ونقله التابعون بإحسان عن السابقين ، نقلا لا يدخله غلط ولا نسيان ؛ لأنها أشياء ظاهرة معمول بها فى بلدان الإسلام ، زمناً بعد زمن ، لا يختلف فى ذلك علماؤهم وعوامهم من عهد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وهلم جرا ، فدل على أنه مباح كله إباحة توسعة ورحمة ، والحمد لله »[1] .

وأضيف إلى ما قاله ابن عبد البر : أن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن عملا تحكمه العادة ، ويؤدى بلا إرادة ، وبالتالى بلا وعى ،

---

(١) الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار ، وعلماء الأقطار ، فيما تضمنه الموطأ من معانى الرأى والآثار لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر « ت ٤٦٣ هـ » جـ ٢ ص ٢٠٨ .

وإنما كانت متجددة حية فيها الكثير من الاختيار والبدائل ، التى تتكسر عندها دواعى القعود ، والأداء المملى . وهذا يفسر ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صيغ مختلفة فى أدعية الصلوات ، ومن صيغ مختلفة فى تمجيد الله عز وجل فى الركوع والسجود ، وفى التشهد ، ومن عدم الثبات عند قراءة آيات معينة من القرآن الكريم . . إلخ .

وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد منا أن نقتدى به فى ذلك ، فلا نعتاد صيغة واحدة من كل هذا ، مع ما يجره ذلك من قتل الإرادة ، والأداء بلا وعى .

على أنه اطمئناناً للقلب نزعت إلى أن أختار — فى الأغلب — ما صار إليه أكثرية الفقهاء مبيناً ذلك بنصوص بعضهم ، وبينت فى بعض الأحيان اختلافهم ، وإن كان هذا مجملا وعَجِلاً .

رابعها : أن تقديم النصوص من القرآن الكريم والسنة ، كما بينت ، للفهل منهما — قد حدا بى إلى أن أقدم الموضوعات — كما وردت فيهما — دون اللجوء إلى التقسيمات الفقهية ؛ الفرض على حدة ؛ والسنة على حدة ، والمندوب كذلك . . إلخ ، إنما أقدمها كما وردت فى الكتاب والسنة ، كل موضوع كما هو ، بكل أعماله ، وكما كان يُعَلِّمُه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ويعمله .

ولا شك أن هذا هو الهدف فى النهاية ؛ أن نتعلم الأمر ونطبقه كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يطبقه ؛ بفروضه ونوافله جملة .

وإذا كان لا بد من بيان أن هذا فرض أو سنة فمن خلال تفصيل الأجزاء ، وترتيب الأعمال ، كما ينبغى أن يؤديها المسلم .

خامسها : أننى لا أريد أن أبعد عن النصوص من القرآن والسنة ، أو أبعد القارئ عنهما ، وبهذا تركت التفصيلات لكتب الفقه القديمة والحديثة ، وأحلت على بعضها ، مما هو متداول مشهور ؛ ككتابى فقه السنة للأستاذ سيد سابق ، والفقه على المذاهب الأربعة .

سادسها : أننى أحس أننا فى حاجة ماسة إلى أن نتعلم أحكام ديننا مقترنة بحِكَمِها وأسرارها ، والمصلحة التى أودعها الله عز وجل فيها ؛ ففى ذلك اطمئنان للقلوب ، وشفاء لما فى الصدور ، وهذا فى الحقيقة هو منهج الكتاب والسنة كما سيلمس القارىء . ولهذا قرنت بين أحكام الكتاب والسنة ، وحِكَمِها وأسرارها ، ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، ولعل أغلب ما قدم فى الأحكام ؛ فى العبادات، أو غيرها قبل ذلك قد أفرد الأحكام ، أو الحِكَم، ولم يجمع بينهما إلا قليلا !

ونبتدىء بعون الله تعالى وفضله بالعبادات : الصلاة ، فالزكاة ، فالصوم ، فالحج ؛ أركان الإسلام الأربعة .

والله نسأل التوفيق فيما نحن بسبيله ، كما نسأله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، وأن يغفر ما قد يبدو فيه من خطأ فى الفهم أو فى الرأى ، إنه نعم المولى ونعم المجيب ؟

الدكتور

رفعت فوزى عبد المطلب

القاهرة فى : ١٤ من ذى الحجة سنة ١٣٩٨ هـ
١٤ من نوفمبر سنة ١٩٧٨ م

تقـــدمة فى

— حقيقة العبادة

— الدين والعبادة

— مقاصد العبادة

— العبادات بمعناها الخاص

(١) حقيقة العبادة

ما حقيقة كلمة العبادة وماذا تعنيه ؟

العبادة فى اللغة هى : الطاعة والانقياد والخضوع ، والتعبد هو التذلل والخضوع ، يقال : عبّد الطريق أى ذلله وسواه .

والعبادة — كما تعنيها الأديان — اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه ، من الأقوال : والأعمال الظاهرة والباطنة :

فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادة .

والدعاء والاستغفار والذكر وتلاوة القرآن الكريم عبادة .

وصِدْق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين ، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود عبادة .

والدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين عبادة .

والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والخادم ، والرحمة بالضعيف ، والرفق بالحيوان عبادة .

وحب الله ورسوله، وخشية الله ، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء فى رحمته،والخوف من عذابه، وأمثال ذلك كله عبادة[1] .

« والمسلم فى وسعه أن يتعبد بكل نية ينعقد عليها عزمه ، وكل كلمة

---

(١) العبادة فى الإسلام د . يوسف القرضاوى ص ٢٨ .

أو حركة تهتز لها جوارحه، مادام يبغى بذلك وجه الله تعالى، فالرجل يمسى كالًّا من عمل يده عابد، والمرأة تبيت ساهرة على رعاية طفلها عابدة »[١] .

(٢) الدين والعبادة

وإذا كان الدين هو الإيمان بالله عز وجل وطاعته والخضوع له بتنفيذ جملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادته عزوجل[٢] ، فإنه يبدو واضحاً جلياً أن العبادة بمعناها السابق تعنى الجانب العملى من الدين ، فهو اعتقاد وعمل، وتنفيذ هـذا العمل ، وبرهان هذا الاعتقاد إنما هو عبادة الإنسان لخالقه عز وجل .

ومن هنا ندرك سر دعوة كل رسول، فى كل دين سماوى، إلى كل أمة إلى العبادة ، يقرر هذا قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[٣] ، وقول كثير من الأنبياء لقومهم ، كما حكى القرآن الكريم، فقد دعا قومه إلى العبادة نوح، وإبراهيم، وهود، وصالح وشعيب، وعيسى وغيرهم ، يقرر هذا القرآن الكريم ، فيقول : (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ، فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم)[٤] ، (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[٥] ، (وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، أفلا تتقون)[٦] ، (وإلى ثمود أخاهم صالحاً

---

(١) العبادات فى الإسلام د . محمد إسماعيل عبده ص ١٦ .

(٢) الدين د . محمد عبد الله دراز ص ٤٩ .

(٣) الأنبياء : ٢٥ (٤) الأعراف : ٥٩

(٥) العنكبوت : ١٦ (٦) الأعراف : ٦٥

قال : يا قوم اعبدو الله ما لكم من إله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم)[١] ، (وإلى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم اعبدوا الله ، ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم)[٢] ، (وقال المسيح : يابنى إسرائيل اعبدوا الله ، ربى وربكم)[٣] ، (وإذ قال الله : ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس: اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال: سبحانك، مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما فى نفسى،ولا أعلم ما فى نفسك، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم)[٤] .

وفى الآيتين الأخيرتين ندرك سر اقتصار هؤلاء الرسل فى دعوة قومهم على عبادة الله عزوجل ؛ لأنها تعنى الإيمان الخالص له سبحانه وتعالى وعدم الإشراك به ، ولهذا كانت إجابة عيسى عليه السلام حينما سأله سبحانه وتعالى: هل دعا قومه إلى الشرك به تعالى بأنه قال لهم : اتخذونى وأمى إلهين من دون الله — كانت إجابته أنه دعاهم إلى عبادة الله ، فهذا يتضمن أنه دعا إلى التوحيد والإيمان بالله عز وجل وحده .

(٣) مقاصد العبادة

والعبادة حق لله عز وجل على عباده ؛ فهو خالقهم ورازقهم ، ومسخر لهم السموات والأرض، ثم طلب منهم أن يعبدوه فى دعوات الرسل عليهم السلام، وأخبرهم أنهم خلقوا من أجل ذلك : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

---

(١) الأعراف : ٧٣
(٢) الأعراف : ٨٥
(٣) المائدة : ٧٢
(٤) المائدة : ١١٦ ، ١١٧

ما أريد منهم من رزق، وما أريد أن يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[1].

من هنا كان حقاً على العباد أن يعبدوه، وأن ينفذوا ما خلقوا من أجله وما هيأهم الله عز وجل له: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم؛ لعلكم تتقون، الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله أنداداً، وأنتم تعلمون)[2].

عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال: « كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه إلا أخرة الرحل فقال: يا معاذ، هل تدرى ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً »[3].

ومن حق الله علينا إذن أن نعبده بما يأمرنا به، وأن نسلم له مقاليد الطاعة فهو أعلم بما يقربنا إليه من العبادات والطاعات.

ولكن الله سبحانه وتعالى كريم رحمان رحيم، يتفضل على عباده بالعطايا والمنن الدنيوية والأخروية على عبادتهم وطاعتهم، فكل طاعة يقابلها ثواب وكرم منه سبحانه وتعالى: (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم، ولأدخلناهم جنات النعيم، ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)[4]،

---

(١) الذاريات: ٥٦ – ٥٨ (٢) البقرة: ٢١ – ٢٢

(٣) اللؤلؤ والمرجان ١/٧ رواه البخارى ومسلم

(٤) المائدة: ٦٥ — ٦٦

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)[١] .

وبقية حديث معاذ السابق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : « هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق العباد على الله ألا يعذبهم »[٢] .

يقول حجة الله الدهلوى : «وظهر مما ذكرنا أن الحق فى التكليف بالشرائع أن مثله كمثل سيد مرض عبيده ، فسلط عليهم رجلا من خاصته ليسقيهم دواء ، فإن أطاعوا له أطاعوا السيد ، ورضى عنهم سيدهم ، وأثابهم خيراً ، ونجوا من المرض ، وإن عصوه عصوا السيد ، وأحاط بهم غضبه ، وجازاهم أسوأ الجزاء ، وهلكوا من المرض ، وإلى ذلك أشار النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال راويا عن الملائكة : « إن مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة » ، وحيث قال : « إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به ، كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا ، فانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم » ، وقال راويا عن ربه : « إنما أعمالكم ترد عليكم »[٣] .

---

(١) الأعراف : ٩٦

(٢) اللؤلؤ والمرجان ١/٧

(٣) حجة الله البالغة ١/١٣/١٤

(٤) العبادات بمعناها الخاص

والعبادات بمعناها السابق ـ كما رأينا ـ تشمل كل مايقوم به المؤمن طاعة لله تعالى ، ولكنها قد تعنى معنى خاصاً هو بعض من هذا المعنى العام ، فقد تعنى ـ وخاصة فى الاستعمال الفقهى ـ أركان الدين الأربعة : الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، تلك التى ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى أسس الإسلام الخمسة فى قوله : « بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان »(١) .

والحق أن هناك ما يبرر إطلاق لفظ العبادات ويراد به تلك الأركان ؛ لأنها جامعة لكثير من أسرار العبادات ، محصِّلة لكثير من مقاصدها ، محققة جُل معانيها ، إن لم تكن جميعها ، وقد « رسمها الإسلام للتقرب بها إلى الله تعالى ، واتخذها شعائر مميزة له وعين لها مواقيت ومقادير وكيفيات لا مجال لتبديل أو تعديل فيها »(٢) .

وسنقتصر دراستنا على هذه الأركان الأربعة وما تستلزمه ، كالطهارة بالنسبة للصلاة .

---

(١) اللؤلؤ والمرجان ١/٤ .

(٢) العبادة فى الإسلام ص ١٥٧ .

الفصل الأول

الطهارة